مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية ISSN : 2353-0464
المجلد1 ، العدد2، (جوان2013) EISSN : 2600-6421

التناص الداخلي لقصيدة : صلوات في هيكل الحب " جبران خليل جبران " نموذجا

أ. جحيش سهيلة*
جامعة قسنطينة -1-

مقدمة :

تتقاطع في ذهن المبدع الكثير من الأفكار والعبارات التي سبق وأن قرأها أو سمع عنها ، فترسم في ذاكرته وتجد سبيلها للظهور عن طريق الكتابة والتعبير ، مما يؤدي إلى تقارب النصوص مع بعضها البعض فتتداخل لتلتقي في العمل الجديد وهذا ما يعبر عنه بالتناص .

لقد برزت عدة نظريات جعلت من النص الأدبي محور اهتمامها ، ونظرية التناص إحدى هذه النظريات التي كان لها الفضل في فتح أفق الدراسة الأدبية « فالمعروف أن التناص مصطلح دال على نسيج أي نص جديد اختزن نصوصا كثيرة ، تأثر صاحب هذا النص تأثرا غير مباشر بها بواسطة القراءة »[1].

وبعيدا عن المفهوم النظري للتناص فإن هذا العمل يطمح إلى تقديم دراسة تناصية تطبيقية حول قصيدة " صلوات في هيكل الحب "لأبي القاسم الشابي ، محورها التناص الداخلي مع شعر جماعة المهجر جبران خليل جبران نموذجا لها .

إن الشعر يعد عملا فنيا قبل كل شيء ويعتمد في ذلك على معطيات جمالية ومعرفية ، ولعل التناص من العناصر المساعدة على بروز الإبداع ببث « حياة عدد من النصوص في النص الجديد »[2] ، فيتولد بهذا التواصل بين النصوص نص جديد يحمل بصمات أعمال الأخرى .

إشكالية الدراسة :

تكمن إشكالية هذه الدراسة في جملة من التساؤلات المطروحة كما يلي :

- إلى أي مدى انعكست خصائص شعر جبران خليل جبران على قصيدة " صلوات في هيكل الحب " ؟.
- كيف أثرت أعماله على الاستكمال الثقافي للشابي ؟ وما هي العوامل المساعدة على حصول هذا التأثر ؟ .

* **البريد الالكتروني : souhiladjehiche@yahoo.fr**

(1) سمر روحي الفيصل ، الرواية العربية البناء والرؤيا ، منشورات إتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 2003 ، ص 11 .

(2) حاتم الصكر ، قصيدة النثر والشعرية العربية ، مجلة فصول ،1996 . المجلد 15، ص 85.

- هل صنعت كتاباته تأثيرها في إبداع "صلوات في هيكل الحب " ؟ .
- ما هي مستويات التناص الداخلي التي عرفتها هذه القصيدة ؟ وهل تدفقت رؤية جبران خليل جبران للطبيعة والمرأة لتشملها ؟ وهل مارس أسلوبه حضوره في هذا العمل ؟ .

من خلال هذا الطرح يمكننا أن نتعرض للحديث عن الروافد التي ساهمت في تكوين شخصية الشابي ، ثم نسوق بعض مستويات التناص الداخلي ، مدعمة بأشعار تلتقي فيها القصيدة بشعر جبران خليل جبران .

أهمية الدراسة وأهدافها :

تكمن أهمية هذه الدراسة في محاولة رصد طبيعة التناص الموجود في هذه القصيدة مع شعر جبران خليل جبران ، والكشف عن مستويات هذا التداخل الذي يتجاوز الشكل إلى المضمون .

ومن هنا نقول إن الهدف الأساسي لهذه الدراسة يكمن في التأكيد على أن التناص عملية إبداعية فنية وجمالية وليست مجرد تكرار ، فقدرات الشاعر الإبداعية تنمو وتتطور مع قراءاته وتطلعاته وبالتالي تصل إلى درجة البناء الفني والجمالي .

منهجيتها :

ركزت هذه الدراسة على استعمال منهج التناص الذي يسعى إلى كشف العلاقة التي تجمع النص الجديد بالنصوص السابقة ، وحددت مستوى هذا التناص بالداخلي وهو مستوى يبرز لنا علاقة نص أو نصوص الشاعر التي نحن بصدد دراستها بنصوص أخرى ، وهو ما يظهر في مستويات ثلاثة .

1- **الروافد الشخصية** :

اغترف الشابي من الأدب العربي الحديث ، واستقى من كتابات أعلامه ممن تركوا بصمات واضحة ، فكان لأعمالهم أثر في نتاجه الفني ، إذ كتب على خلفيات نصوصهم بعض قصائد ديوانه .

شهدت فترة شبابه انتشارا واسعا للأدب المهجري الحافل بصوره الحالمة،التي أثرت في وجدان الشابي وفي أدبه، ويعود ذلك إلى سن الدراسة الأولى،حين اطلع على إنتاج المهجريين ، فرسخ في ذاكرته رسوخا رافقه طوال حياته وظهر جليا في محاكاته لهم فقد طالع كتبهم وهو « دون الخامسة عشر من عمره وهي سن خطيرة في التفكير والسلوك والعادات »[1].

والمتداول أن الأدب المهجري أدب يقدس الحرية ويحترم الشخصية الإنسانية ويؤمن بالطموح ، ويركن إلى الطبيعة وبساطة الأداء في التعبير والصدق في الشعور ، والعبارة التصورية ويمتاز بألوان المثالية المجنحة .

[1] أبو القاسم الشابي محمد كرو ، الشابي حياته وشعره ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا ، 1984 ، الطبعة 2 ، ص 97 .

فوجدت هذه المميزات مكانتها في نفس الشابي لذلك سار إلى معابد الطبيعة الساحرة التي أسمعته غناها وأظهرت له جمالها وروعة سحرها .
إن شعر جبران في تلك المرحلة ملأ دنيا العرب بجدته وجماله ، ليترك بذلك أثره العميق في عبارات الشابي وخياله الصافي ، إضافة إلى هذا هناك من العوامل الذاتية المتعلقة بفطرة الشاعر وهي مهاراته الإبداعية الخاصة التي أسهمت في تفتق شاعريته ولعل أبرزها :

1-1- **الموهبة الشعرية**:

هي ملكة ذاتية بالدرجة الأولى لها الفضل في نضجه الشعري المبكر الذي يتجلى في قصيدة قالها سنة 1924 وهو في الخامسة عشر من عمره مطلعها:

أيها الحب أنت سر بلائي وهمومي وروعتي وعنائي .

كما تجلت موهبته الشعرية في غزارة الإنتاج الشعري والغنائي بخاصة إذا ما قارنا هذا الإنتاج بالفترة الزمنية المحدودة التي قيل فيها[1] .

1-2- **الإحساس المرضي والوجدان العاطفي:**

تدفقت عاطفته لتلقي بضلالها على إبداعاته ، فتجرد من الماديات إلى المحسوسات ، ليصوغ قصائده في صور من الخيال المجنح فغدت مشبعة بالشعور الرقيق والإحساس السامي ، تسبح في أسمى المعاني وأصدق المشاعر .

1-3- **قوة الإرادة وصلابة العزيمة** :

من خلال تكوينه العصامي، فتح لنفسه منافذ على الأدب العربي، الذي جعله معينا لإحساسه الشعري نوع رؤاه الأدبية، كما وتتجلى قوة إرادته أيضا في مجال مكابدته لمقومات المجتمع ومكابدته لعوارض الداء الذي كان يكسر من جناحه الشعري.
كل هذه المعطيات تفاعلت في نفس الشابي وساهمت في بلورة شخصيته .

2- **العنوان**:

يعطينا العنوان الصورة المبدئية لموضوع العمل الأدبي فهو يمكننا من الانفتاح على معمارية النص، وأبعاده الدلالية والثقافية حين يقدم صورة لمحتوى الموضوع، وبه يلج إلى النص.
و" صلوات في هيكل الحب " هو عنوان إبداع فني يحفل بالسمو، يحفز فضولنا لنتساءل كنه هذه الصلاة وماذا يعني بها ؟ وما الغرض من ورودها ؟ ولماذا جاءت بصيغة الجمع ؟وكيف ارتبطت بالهيكل ؟ .
استعمل الشاعر لفظة الصلاة بمعنى الدعاء ؛ لأنها من مستلزمات معبد الحب الذي عزم على الدخول إلى هيكله ، ليتغنى بأنشودته الإلهية فيه ، فأضحت المحبوبة معبود ، ونجوى الحب التي يرتلها الشاعر بمثابة صلوات ، وجعلها على صيغة الجمع ؛ لأن الصلاة الواحد ة تنقضي ، أما صلوات فهي في حالة اتصال

[1] المرجع السابق ، ص 86 .

مستمر بتسلسل لا سبيل فيه إلى الانقطاع أو البتر ، فإقامته للصلوات تدخل عبوديته لحبيبته واتصاله بها في عالم اللامتناهي من السجود ، وقد خص الصلاة بالذكر للأسباب التالية :

- ✓ تعد فرض لابد من تأديته ولا سبيل للتهاون فيه.
- ✓ تعد عماد الدين .
- ✓ ما يميز المسلم عن الكافر.

إن مكانة حبيبته تضاهي مكانة الصلاة حين يقول[1] :

عيشة الناسك البتول يناجي الر ب في نشوة الذهول الشديد.
فالإله العظيم لا يرجم العبد إذا كان في جلال السجود .

تختص الصلاة بصفة الإقامة ، لما فيها من خشوع وابتهال وإيمان ومراعاة ، يجتمع القلب والضمير للقيام بشيء واحد ، هو المثول أمام يدي الله سبحانه وتعالى ، فيتبين بأن اختياره للصلاة كان على أساس الإقامة التي تدل على العناية ، وهذا ما أراده الشاعر ، فقد أراد لحبيبته عناية واهتماما ومكانة سامية ؛ لأنها روح مفعمة بالطهر ، تتكافأ مع قدسية الصلاة في نظره .

أما اختياره للفظة "هيكل" فلعله أراد من خلالها أن يربط قصته بالنبي سليمان عليه السلام ، وبالرسول محمد (ص) الذي كان يتعبد منفردا في غار حراء ، يتأمل هذه الدنيا ويمعن ببصره

في هذا الوجود، وذلك ما نجده عند المتصوفة أيضا، فالهيكل يوحي بالعبادة والخلوة، والانقطاع عن كل ما هو ترابي.

فما دام الشابي يبحث عن عالم المثال المطلق ودنيا الحب المثالي المقدس ، أضحي عش الحب لديه هيكلا؛ لأن هذه اللفظة ترتبط بالتعبد والحرية[1] فنحن « إذا أردنا أن نعبر عن معنى نحس تجاهه بجلال المثل الأعلى وسموه ، فإنما سبيلنا في ذلك أن نفرغ عليه رداء القدسية التي هي أسمى ما تتصوره البشرية من جمال المثل الأعلى وجلاله »[2].

من أجل ذلك أدى الشاعر « فرائض المحبة قصائد عمادها هوى مثاليا مقدسا ، إلى الكون والحياة والوجود في أناشيد عليا تنضح بالتذلل والتضرع »[3].

وهكذا أصبغ على حبيبته صفة الألوهية لتنفرد عما سواها من نساء المعمورة فتتعالى على سميراس[*] وبلقيس[**] وأنتيقونة[***] وهيرة[****] وأثينا[*****]

---

[1] أبو القاسم الشابي ، الأعمال الكاملة ، الدار التونسية للنشر ، 1984 ، ج1 ، ص 181 .

[1] فاروق شوشة ، جمال العربية ، صلوات في هيكل الحب، مجلة العربي ، أكتوبر2000 ، العدد 504 ، ص 168 .

[2] نعمات أحمد فؤاد ، أبو القاسم الشابي شعب وشاعر الدار العربية للكتاب ، ليبيا ، تونس ط1977/3 ، ص 82 .

[3] فاروق شوشة ، جمال العربية ، صلوات في هيكل الحب ، ص 167 .

بطلات الملاحم الأسطورية ؛ إنها غيرهن جميعا ، كساها الشابي بأحلامه وآلامه ، حتى أضحت المرأة الحلم .

3- **المناسبة** :

جمعت القصيدة بين كلام المتصوفة ونظرة الرومانسيين وخيال المبدعين، فلفها الإبهام الذي جعل الحديث عن مناسبتها تتضارب فيه الآراء على النحو التالي:

1- قيل : إن القصيدة أنشئت نتيجة لذلك الحب الذي ملأ دنياه وواشى رؤاه ، لأنه أحس بدماء الشباب ونفحات الحب تغريه[4] فالشاعر أحب في حياته حبا حقيقيا « فتلك القصائد الغزلية الحسان المملوءة بالحرارة والوجد »[1] كان يوجهها لمن يحب .

2- وقيل : إن الشابي « لم يجد في زوجته تلك الصورة الرقيقة التي كان يرسمها للمرأة في أشعاره ويتغنى بها في قصائده ، ففشل في تحقيق مثال المرأة الذي يريده في واقع الحياة ، لذلك لم يلبث أن وقع في شراك حب عنيف قاده إلى معبد الغرام .... فرتل في هيكله المقدس تسابيحه وصلواته الحارة ، صلوات فيها الضراعة والبكاء ، والحسرة محرقا قلبه وعواطفه بخورا عند أقدام الحبيبة »[2] فأخذت هذه الفاتنة من قلب الشاعر الحيز الكبير.

3- ورأي آخر يري أن القصيدة قيلت في « المرأة كجنس »[3] فهي للمرأة في كل مكان وزمان ، بل لكل النساء ؛ لما يلفها من حب وعبادة ، فلو كانت لامرأة معينة « لما صح أن تترك شعره ، دون أن تسميه بميسم خاص لا يستطيع القارئ التعرف شخصيتها بوضوح »[4] .

4- وهناك من يرى أنها حس جنائزي ، فهو منفى في الجبال لا يخرج منها؛لأنه سيختنق ، والشهر سبتمبر وهو فصل الخريف يوحي بالموت ، ووطنه منهار ، والحبيبة كتب لها القدر أن تموت ، والوالد انتقل إلى الرفيق الأعلى ، كل شيء يوحي بالموت ، وعلى الرغم من ذلك فإنه

(*) سميراس : الأميرة البابلية .

(**) بلقيس : ملكة سبأ .

(***) أنتيقونة : الأميرة المتمردة في مسرحية سوفوكليس عند الإغريق .

(****) هيرة : إلهة الزواج عند الإغريق .

(*****) أثينا : إلهة الذكاء عند الإغريق .

(4) نعمات أحمد فؤاد ، أبو القاسم الشابي ، ص 58 .

(1) أبو القاسم محمد كرو ، الشابي حياته وشعره ، ص126 .

(2) خليفة محمد التليسي ، الشابي وجبران ، الدر العربية ، لبنان ، بيروت ، ط5 ، 1984 ، ص 119 .

(3) أبو القاسم محمد كرو ، الشابي حياته وشعره ، ص 121 .

(4) خليفة محمد التليسي ، الشابي وجبران ، ص 117 .

يحاول أن يدخل إلى جنة الخلود والبقاء وعالم المثاليات الذي لن يكون إلا على يد هذه المحبوبة التي أضحت « قطعة من فنون السماء»[5] .

5- ويرى شوقي ضيف أن هذه القصيدة، قيلت في دنياه التي تمثلها حبيبة يرثيها في شدوه، ويظهر تألقها في بصره من خلال جمالها الذي لا يستطع على الأشياء والأشخاص من حوله[1] .

6- ورأي آخر يرى أن قلب الشابي يخفق بحب روحي علوي يتمثل في مشاهد الطبيعة الفاتنة ومناظرها البهية[2].

ورأينا أن الوقوف على مناسبة واضحة أمر يتعذر علينا ، لاختلاف الآراء وتشابكها ، بيد ما كان شبه الإجماع عليه ، وما تعززه سيرة الشابي ، هو وجود حبيبة اختطفها الموت في أعياد الربيع ، فأقامها مقام الألوهية في القدس ..... فقد كان يحب امرأة بعينها ، فرفع إليها صلوات حارة ملؤها القوة والعمق ، راسما من خلال ذلك صورا تغري بالحب شيوخ الرهبان ، وغمرها بأفراح تتصاعد نحو اللا متناهي[3] .

وهذا الرأي هو الأرجح ، فمن خلاله أضحت صلوات في هيكل الحب عروس قصائد الشابي .

4- **التناص الداخلي** :

وجد الشاعر نفسه محاصرا « بوعي فني سواء بواقع الأدب العربي في عصره وقد رآه مريضا.....إلى وعي سياسي بواقع شعبه المذعن إلى وعي وجودي هو تأملات في منزلة الإنسان ووضع الكائن البشري ، الممزق بين مقتضيات الجسم والروح »[4] فبحث عمن عساه يخفف عنه هذا الشعور ويمنح له بعض الراحة والاطمئنان ، فوجد في حلة ألفاظه وتراكيبه ما هو كفيل بأن ينفض الهموم عن نفسه المتعبة ، ووجد في حديث جبران خليل عن الطبيعة الأمل في الحياة ، ولمس في رؤيته للمرأة الإشراق لدلك ظهر هذا التناص بشكل واضح في النقاط التالية :

- في الألفاظ والتراكيب .
- في الطبيعة .
- في المرأة .

4-1- **الألفاظ والتراكيب** :

تمثلت محاكاة الشابي لجبران خليل فيما كان يستعمل من ألفاظ رومانسية وأسلوب حالم وروح محبة ، يغمر بها أعماله فنجد جبران خليل يقول : « وفصل إله الإلهة

---

[5] محمد لطفي اليوسفي ،ـ الشابي منشقا ، سيراس للنشر ، تونس د ت ، د ط ، ص 80.

[1] نعمات أحمد فؤاد ، أبو القاسم الشابي ، ص 58 .

[2] المرجع نفسه ، ص 60 .

[3] المرجع نفسه ، ص 170 .

[4] عبد السلام المسدي ، قراءات في الشعر العربي الحديث ، ص17 .

عن ذاته نفسا وابتدع فيها جمالا وأعطاها رقة نسمات السحر وعطر أزهار الحقل ، ولطف نور القمر.....

و وهبها كأس سرور وقال : لن تشربي منها إلا إذا نسيت الماضي وأهملت الأتي .

وكأس حزن و قال :" تشربين فيها فتدركين عنه فرح الحياة "[1] .

إنها معاني ودلالات حالمة دخل بها إلى عالمه الخاص فأضحت ينابيع فياضة تدر بالعطاء لتغذي الشعور وتطهر النفوس.

وإلى مثل هذه القطعة ، تنتمي ألفاظ وأسلوب الشابي في هذه القصيدة ، فالنسيم والعطر والكأس والتنهيد والخيالات والأشباح والشوق كلها ألفاظ ومعان هام بها الشاعر وتفقَّاها وتأثر ببلاغتها ، وسمو عاطفتها فأصاب في توظيفها ، و التناص مع معانيها وهي المعاني التي حرص على توصيلها للقارئ عبر أبيات قصيدته .

لقد كان لهذه اللغة ثقلها فقال الشابي[2] :

وتهب الحياة سكرى من العطر ويدوي الوجود بالتعزير.
أنت دنيا من الأناشيد والأحلام والسحر والخيال المديد .
أنت فوق الخيال والشعر والفن وفوق النهى وفوق الحدود .
فيك شب الشباب وشحه ال سحر وشدو الهوى وعطر الورود .

تطلع الشاعر إلى تصور معنوي عميق لكل الأشياء ، فوظفه كاستجابة ملحة لحاجة في نفسه ، تلك النفس التي حملته إلى عوالم أخرى .

انطلاقا من تشابه التجربتين ، فإن ما يعبر عنه الشابي يتجاوب مع تجربة جبران خليل وهذا ما يعبر عنه النسيج الدلالي للقصيدة .

لقد حققت رومانسية جبران خليل للشابي ما تصبو إليه نفسه حين بينت له وجود عالم مثالي ، شاعري يزخر بألوان الحياة السامية المتعالية ، التي بحث عنها طويلا في الواقع ولم يعثر لها على أثر .

فلا غرو أن ينهج الشابي منحى أستاذه ويسير على خطاه ، لا سيما وقد وجدت أفكار الشاعر اللبناني صداها في نفسه، فبقيت محفوظة في ذاكرته ، لتظهر بعد ذلك واضحة المعالم في أبيات "صلوات في هيكل الحب" ، مع تغيير أو زيادة أو نقصان .

4-2- **الطبيعة** :

تعدت محاكاة الشابي لجبران خليل الشكل إلى المضمون فكان حديثه عن الطبيعة ، باعتبارها ملاذ شعراء المهجر، تغنى بها جبران خليل غناء مبهرا ، أطرب البشرية من بعده ، وظل أدبنا العربي يستعذبه طويلا .

---

[1] نعمات أحمد فؤاد ، أبو القاسم الشابي ، ص 158 .

[2] أبو القاسم الشابي ، الأعمال الكاملة ، ص 181 - 180 .

لقد اقتنص صورها واندمج فيها ؛ لأنها رمز الحياة الفضلى ، فهي معزولة عن الهموم والحزن والزيف لذلك يقول في قصيدة« أنا في الروض ساهر وهو نائم»[1]:

وهي بكر من الأذى والمحارم .
إنما أهلها طيور حسان .
إن دعاها الصباح قامت تنادم .
وضياء يموج في الماء حتى لتراه كأنه متلاطم .
وغصون تهزها نسمات .
كمهود تهزهن روائم .
هذه عزلتي أفر إليها .
من مجال الأسى ومجرى المظالم .
إنها صحبة للجداول والبلابل ، للفجر والنجوم ، للغاب والنهر....

اندمج في الطبيعة بحسه وكيانه ليقول في « أغنية الليل »[1] :

سكن الليل وفي ثوب السكون تختبئ الأحلام.
وسعى البدر وللبدر عيون ترصد الأيام.
اسمعي البلبل مابين الحقول يسكب الألحان.
وضباب الليل في تلك الكروم يحجب الأسرار.

إنها حياة اسعد وأرقى مما يعيش باقى الناس ،إنها فوق الخيال لأنها بعيدة عن الموت كما يقول في قصيدة « المواكب»[2] :

ليس في الغابات موت لا، ولا فيها القبور.
فإذا نسيان ولى لم يمت معه السرور.
إن هول الموت وهم يبقي على الصدور.
فالذي عاش ربيعا كالذي عاش الدهور.

طرب الشابي من غناء جبران خليل جبران ، فشعره وافق هواه ووجد صداه في نفسه ، كيف لا وهو الذي لم تكن له « طيلة حياته أمنية أو رغبة يحن إليها أو يرغب في تحقيقها كالغاب بسروه وسينديانه ... وبكل ما فيه من نبات وحيوان وسماء صافية وماء نضير »[1]، إنها حياة مملوءة بأشواق الطبيعة ، فهي من يخفف أحزانه وهمومه لذلك يردد :[2]

يا ابنة النور إني أنا وحدي من رأى فيك روعة المعبود .

---

[1] جبران خليل جبران ن الأعمال الكاملة ، د ت ، د ط ، ص 929 .
[1] محمد مصطفى هدارة ، دراسات في الأدب العربي الحديث، دار العلوم العربية ، ط1 ، 1990، بيروت ، عمان ، ص 31 .
[2] جبران خليل جبران ، المجموعة الكاملة ، ص 362 .
[1] نعمات أحمد فؤاد ، أبو القاسم الشابي ، ص 124 .
[2] أبو القاسم الشابي ، الأعمال الكاملة ، ص 181 .

فدعيني أعيش في ظلك العذب وفي قرب حسك المشهود .
عيشة للجمال والفن والإلهام والطهر والسن والسجود .

فالشابي إذا تحدث عن حياته ونفسه لجأ إلى الطبيعة وإذا تحدث عن الطفولة أو الحياة أو المرأة ألبسها صفات الطبيعة وخصائصها فهي محرابه الذي يتعبد فيه « عبادة عميقة تصل إلى درجة الغناء بجمالها الأخاذ ...لأنه لا يتذوقها في سذاجة »[3] فيها يتجلى سحر الحياة إنه « مسحر بالغاب ينشده ... في لذة وحنان وذهول »[4] ، جعلته يأخذ إحساس جبران خليل جبران ووصفه السخي فقال[5] :

وشموس وضاءة ونجوم تنثر النور في فضاء مديد .
وربيع كأنه حلم الشاعر في سكرة الشباب السعيد.
ورياض لا تعرف الحلك الداجي ولا ثورة الخريف العتيد .
وطيور سحرية تتناغى بأناشيد حلوة التغريد .
وغيوم رقيقة تتهادى كأباديد من نثار الورود .

الحقيقة أن الطبيعة عند الشابي « صور وأنغام تفيض على وجدانه وتناسب في تيارات مشاعره فيرسلها قلبه »[6] .

وهكذا نصل إلى أن الطبيعة عند كليهما عالم قائم بذاته يمثل المظاهر الأخلاقية ، ويحمل كل صفات الكمال والطهارة ، إنها الملجأ لأحاسيسهما والمحراب لصلواتهما إنها معبد مقدس يستحق الإجلال .

4-3- **المرأة :**

أخذت المرأة مكانة سامية عند الشعراء ؛ لأنها مصدر العاطفة فهي « ملاك متدثر بالسعادة والفرحة والأضواء »[1] ولأنها منبع الأحاسيس والمشاعر نالت درجة من القداسة جعلتهم يشيدون بها ويخضعون لسلطانها .

يرى شعراء المهجر أن المرأة بطبيعتها أقرب إلى السماء فهي أكثر حساسيةً وأقوى شعورًا ، فنظر إليها جبران خليل جبران نظرة رفيعة طاهرة فهي التي « استيقظ إحساسه بالحياة على هدهدة حنانها وأبصر طريقة في الوجود على نور رعايتها ، وصعد قمة المجد مدفوعا بالقوة التي أمدته بها ، وخاطب العالم من خلال الوحي والإلهام الذي زخرفت به دربه »[2] وهذا الشعور الذي يختلجه هو ما همس به في « حببت نساء ولكن »[3] حين يقول :

---

[3] خليفة محمد التليسي ، الشابي وجبران ، ص 76 .
[4] نعمات أحمد فؤاد ، أبو القاسم الشابي ، شعب وشاعر ، ص 123.
[5] ينظر أبو القاسم الشابي ، الأعمال الكاملة ، ص 182.
[6] أحمد قبش ، تاريخ الشعر العربي الحديث ، بيروت ، دار الجيل ، 1999 ، ص 565 .
[1] ابراهيم عبد الرحمن محمد ، النظرية والتطبيق في الأدب المقارن ، بيروت ، دار العودة ، 1982 ، ص38 .
[2] خليفة محمد التليسي ، الشابي وجبران ، ص 126- 127 .
[3] جبران خليل جبران ، الأعمال الكاملة ، ص 817 .

حصرت فيك مناي .
الحسان والأمالا .
فكنت نور وجودي .
وما عداك ظلالا .
لا شغل يشغل قلبي .
سواك حالا فحالا .

إنها نظرة مثالية لهذه المحبوبة التي استطاعت أن تكون نموذجا للمرأة الوفية الطاهرة الشريفة، التي جاءت لتثبت الطهارة والنور في هذا الكون، إنها مثال الصبر والتضحية، فلا عز وان يصوغ اعترافه حين يقول :

« أنا مدين بكل ما هو أنا إلى المرأة، منذ كنت طفلا حتى الساعة والمرأة تفتح النوافذ في بصري والأبواب في روحي، ولولا المرأة الأم، والمرأة الشقيقة، والمرأة الصديقة لبقيت هاجعا مع هؤلاء النائمين »[1] .

لقد تمكنت المرأة من أن تأخذ لنفسها مكانة رفيعة عند جبران جعلتها عروس ، ولحن وشمس وسحر ، حين يقول في قصيدة « أعروس إكليلها يعلوها »[2] :

أعروس إكليلها يعلوها .
أم هي الشمس والسن يجلوها .
أو ثبت غير حسنها البالغ الغايات .
نفسا فيا لعنيد تستثنيها .
ومن اللحن في أناملها آيات
سحر على النهى تجريها
وقف الشعر عند حد معانيها
وقد خيل أنه يطريها .

ولما وقف الشابي على هذه الصورة للمرأة كما تغنى بها جبران خليل جبران ، لما يتميز به من شخصية رومانسية نزاعة للمثالية المقدسة للعاطفة ، جعلت نظرته للمرأة تختلط بالعفة والتصوف ، فإذ المرأة في منزلة العبادة يتغنى بها في أشعاره ، فهي الطهر والرفعة والطفولة والصباح والألحان ، تحمل بين ثناياها السعادة والاطمئنان والراحة .

[1] خليفة محمد التليسي ، الشابي وجبران ، ص 126- 127 .
[2] جبران خليل جبران ، الأعمال الكاملة ، ص 1309 .

لقد أخذت تسمو وتسمو حتى لفها الغموض والإبهام ، فصب كل ما قرأه من أدب جبران خليل جبران عن المرأة في أبيات « صلوات في هيكل الحب »[1] التي يقول فيها :

يا لها من طهارة تبعث التقديس في مهجة الشقي العنيد ! .
أي شيء تراك هل أنت فينيس تهادت بين الورى من جديد .
أم ملاك الفردوس جاء إلى الأر ض ليحي روح السلام العهيد .
فيك ما فيه من غموض وعمق وجمال مقدس معبود ! .

وظف الشابي صورة المرأة في مستوى عال يسمو في معانيه وفي علاقته بها فأضحت « صورة سماوية هي تمثال الفن الإلهي الخالد »[2] .

اقتبس من أعمال جبران خليل جبران ، النفحات الروحانية العميقة والمعاني السامية فارتدت ثوب الجلالة والقداسة واحتلت منزلة العبادة ليقول[3] :

كلما أبصرتك عيناي تمشين بخطو ، موقع كالنشيد
خفق اقلب للحياة ورف الزهر في حقل عمري المجرود
أنت تحين في فؤادي ما قد مات في أمسي السعيد الفقيد
وتشيدين في خرائب روحي ما تلاشى في عهدي المحدود
من طموح إلى الجمال إلى الفن إلى ذلك الفضاء البعيد .

تمكن الشابي ببراعته الشعرية أن يرسم لها صورة لا تشبه غيرها ، وإن استوحاها من رؤية جبران خليل جبران ، وهذا ما يكشف تناص القصيدة مع شعره ، لتنال المرأة عندهما من خلال ذلك تمجيدا خاصا ، هو بمثابة ردة فعل على قيمة المرأة – آنذاك – في المجتمع .

وفي الختام يمكن القول أن هناك تأثر واضح وجلي كتبه الشابي بطريقته الخاصة ليبقى متميزا عن غيره ، فعلى الرغم من التلاقي والتناص ، إلا أن الشابي استطاع أن يتميز عن غيره ، حتى وإن حاكى لغتهم وأساليبهم ومعانيهم ؛ لأن الموهبة الشعرية أقوى من المحاكاة والاقتباس وهي أهم ميزة للشاعر الأصيل .

لقد اختصرنا الحديث عن هذه العناصر لأنها أهم ما يبرز فيه التناص الذي لم يكن محض صدفة ؛ بل كان نتيجة قراءة واعية وافية لأعمال جبران خليل جبران .

الخاتمة :

من خلال ما سبق يتبين لنا أن الشابي تأثر بأدب جبران خليل جبران ، وهو ما انعكس في قصيدته " صلوات في هيكل الحب "على مستويات مختلفة ، إذ اتضح

---

[1] أبو القاسم الشابي ، الأعمال الكاملة ، ص 181 – 197 – 198 .

[2] مصطفى الجوز، مصطفى صادق الرافعي ، رائد الرمزية العربية المطلة على السوريالية ، لبنان ، دار الأندلس ، 1985 ، ص 118 .

[3] أبو القاسم الشابي ، الأعمال الكاملة ، ص 181.

تفاعله مع ثقافة المهجريين التي كانت في تلك المرحلة في أوج ازدهارها ، فأحسن استثمار ذلك وهو ما ظهر في نتاجه مع أدبهم .
ومن جانب أخر فإنه أضفى لمسته الذاتية وطابعه الشخصي على شعره، فجاءت القصيدة إبداعا فنيا متميزا عن غيره.

قائمة المصادر والمراجع :

المصادر:

1- أبو القاسم الشابي ، الأعمال الكاملة ، الدار التونسية للنشر، ج1 ، 1984 .
2- جبران خليل جبران ، المجموعة الكاملة ، د ط ، د ت .

المراجع :

1- أبو القاسم محمد كرو ، الشابي حياته وشعره ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا ، ط2 ، 1984 .
2- إبراهيم عبد الرحمن محمد ، النظرية والتطبيق في الأدب المقارن ، دار العودة ، بيروت ، د ط ، 1982 .
3- خليفة محمد التليسي ، الشابي وجبران ، الدار العربية للكتاب ، بيروت ، لبنان ط 5 ،1984 .
4- عبد السلام المسدي ، قراءات في الشعر العربي الحديث ، الشركة الوطنية للتوزيع ، الجزائر، د ط ، 1984 .
5- محمد لطفي اليوسفي ، الشابي منشقا ، سيراس للنشر ، تونس ، د ط ، د ت .
6- مصطفى الجوز ، مصطفى صادق الرافعي ، رائد الرمزية العربية المطلة على السوريالية ، دار الأندلس ، لبنان ، ط1 ، 1985.
7- نعمات أحمد فؤاد ، أبو القاسم الشابي ، شعب وشاعر، الدار العربية للكتاب ، ليبيا تونس، ط3 ، 1977 .
8- سمر روحي الفيصل ، الرواية العربية ، البناء والرؤيا، منشورات إتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 2003 .

المعاجم:

1- ابن منظور ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، 1992 .

المجلات:

1- فاروق شوشة ، مجلة العربي ، جمال العربية ، أكتوبر2000 ، العدد 504 .